الوَاقِعُ المُـرّ

يَحْلُو لِبَعْضِ الكُتَّابِ مِنَ الخَرَّاصِينِ المُزَيِّفِينَ مِنْ حَمَلَةِ المَبَاخِرِ، الآكِلِينَ عَلَىٰ كُلِّ المَوَائِدِ، النَّابِحِينَ عَلَىٰ كُلِّ مَوْجَةٍ، اللَّاعِبِينَ عَلَىٰ كُلِّ حَبْلٍ، السَّابِحِينَ فِي كُلِّ مُسْتَنْقَعٍ، أَصْحَابِ العَلْمَنَةِ وَحُرِّيَّةِ الإِلْـحَادِ -مِنَ الَّذِينَ تَعُجُّ بِهِمُ السَّاحَةُ الإِسْلَامِيَّةُ المُتْخَمَةُ بِالسَّلْبِيَّاتِ وَالتَّنَاقُضَاتِ فِي أَيَّامِنَا هَذِهِ- أَصْحَابِ التَّمَلُّقِ وَالمُدَاهَنَةِ، وَالعَمَالَةِ وَالِارْتِهَانِ، وَالتَّدَنِّي وَالِابْتِذَالِ، الَّذِينَ يَلْبَسُونَ لِكُلِّ حَالٍ لَبُوسًا وَيَتَكَلَّمُونَ فِي كُلِّ مَقَامٍ بِلِسَانٍ ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ (البَقَرَة/ ١٤).

يَحْلُوا لَـهُمْ أَنْ يُصَوِّرُوا حَالَةَ التَّرَدِّي وَالضَّيَاعِ وَالتَّفَكُّكِ وَالِانْكِسَارِ وَالذِّلَّةِ وَالمَهَانَةِ الَّتِي تُعَانِي مِنْهَا الأُمَّةُ فِي صُورَةِ النَّصْرِ المُؤَزَّرِ؛ الَّذِي مَا كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ لَوْلَا العَبْقَرِيَّةُ الفَذَّةُ (لِوَلِيِّ نِعْمَتِهِمْ)، حَتَّىٰ الذُّلِّ وَالتَّبَعِيَّةِ لِـمَنْ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ وَالمَسْكَنَةَ أَلْبَسُوهُ ثَوْبَ الفَخَارِ!!.

***

ضَلَالٌ مَا بَعْدَهُ ضَلَالٌ، وَإِفْكٌ زَوَّرُوا بُهْرُجَهُ لِيَرُوجَ عَلَىٰ ضِعَافِ العُقُولِ، وَرُبَّمَا لَا يَرُوجُ إِلَّا عَلَىٰ أَمْوَاتِ القُلُوبِ .. فَقَدُوا النَّخْوَةَ، بَلْ فَقَدُوا الإِحْسَاسَ

بِالذُّلِّ وَالعَارِ بَعْدَمَا فَقَدُوا الأَمَلَ فِي تَغَيُّرِ الأَوْضَاعِ المُتَرَدِّيَةِ، "وَغَرَقُوا فِي مَفَازَاتِ الضَّيَاعِ .. وَمَتَاهَاتِ الفَرَاغِ".

***

وَفِي غِيَابِ الأُسُودِ تَأَسَّدَتِ الأَرَانِبُ، وَاعْتَلَى المَسْرَحَ المُهَرِجُونَ وَالأَفَّاكُونَ وَالنَّصَّابُونَ وَسِفْلَةُ النَّاسِ وَكُلُّ حَقِيرٍ وَدَنِيءٍ مِنْ أَشْبَاهِ الرِّجَالِ؛ يُسَاوِمُونَ عَلَى شَرَفِ الأُمَّةِ.

وَنَهَضَ كُلُّ جَوَادٍ قَارِحٍ جَامِحٍ بَعْدَ أَنْ تَمَزَّقَ وَتَهَرَّأَ لِجَامُهُ؛ يَنْهَالُ رَفْسًا، يُدَمِّرُ كِيَانَ الأُمَّةِ، وَيُقَطِّعُ أَوْصَالَهَا، وَيُوهِي قُوَاهَا، وَيُمَزِّقُ شَمْلَهَا، وَيُفَرِّقُ صُفُوفَهَا، وَيَدُكُّ عَقِيدَتَهَا، وَيُحَقِّرُ تُرَاثَهَا وَقِيَمَهَا، وَيَدُوسُ مَقَدَّسَاتِهَا، وَيُقَوِّضُ مُقَوِّمَاتِهَا، وَيَطْعَنُ فِي مَقَاتِلِهَا .. إِرْضَاءً لِأَسْيَادِهِ الجُدُدِ "وَأَنَّى لَهُ رِضَاهُمْ؟ فَلَنْ يَرْضَوْا عَنْهُ؛ فَدُونَ رِضَاهُمْ خَرْطُ القَتَادِ"[1]، يَتُوقُ إِلَى تَحْقِيقِ أَغْرَاضِ أَسْيَادِهِ فِي تَقْوِيضِ الإِسْلَامِ وَتَدْمِيرِهِ وَمَحْقِهِ، وَمَحْوِ الهُوِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَالإِنْصِهَارِ فِي بَوْتَقَةِ أُمَّةٍ لَا دِينَ لَهَا إِلَّا الشَّهَوَاتِ، مُسْتَغِلًّا نَكْبَةَ الأُمَّةِ لِلْوُصُولِ إِلَى أَطْمَاعِهِ الدَّنِيئَةِ

---

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البَقَرَة/ ١٢٠)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ (البَقَرَة/ ٢١٧).

فِي الشُّهْرَةِ التَّافِهَةِ وَالمَتَاعِ الرَّخِيصِ، وَلَوْ أَدَّىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ ضَيَاعِ أُمَّةِ الإِسْلَامِ بِكَامِلِ حَضَارَتِهَا وَأَمْجَادِهَا وَتَارِيخِهَا المُضِيءِ!! .. رَافِعًا رَايَةَ العَلْمَانِيَّةِ[1] الشَّوْهَاءِ الَّتِي اسْتَوْرَدَهَا مِنْ أَسْيَادِهِ الجُدُدِ، مُؤَمِّلًا أَنْ يَتَجَرَّعَهَا النَّاسُ بَدَلًا مِنْ عَقِيدَتِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ بِرَبِّهِمْ، تِلْكَ العَقِيدَةُ الَّتِي رَفَعَتْ أَسْلَافَنَا -يَوْمَ أَنْ تَمَسَّكُوا بِهَا- إِلَىٰ أَعْلَىٰ

---

(١) (العَلْمَانِيَّة secularism) هِيَ فَصْلُ الدِّينِ عَنِ النَّشَاطِ البَشَرِيِّ بِعَامَّةٍ. وَخَاصَّةً عَنِ السِّيَاسَةِ [أَيْ: رَفْض الانْصِيَاعِ لِدِينٍ إِلاَّ مَا وَافَقَ وَأُشْرِبَ مِنَ الهَوَى].

وَالمُصْطَلَحُ تَمَّ تَرْجَمَتُهُ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِطَرِيقَةٍ خَاطِئَةٍ، وَالأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ: (دُنْيَوِيّ) أَوْ (وَضْعِيّ) أَوْ (لاَ إِلَهِيّ) أَوْ (اللاَّدِينِيّ) إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ.

فَهُوَ اصْطِلاَحٌ لاَ صِلَةَ لَهُ بِكَلِمَةِ: العِلْم، وَالمَذْهَب العِلْمِيّ. بَلْ نَفْيُ الدِّينِ وَإِبْعَادُهُ عَنْ مَجَالاَتِ الحَيَاةِ وَعَنْ شُؤُونِ الدُّنْيَا: السِّيَاسِيَّة، وَالاقْتِصَادِيَّة، وَالاجْتِمَاعِيَّة، وَالفِكْرِيَّة... الخ، وَعَزْلُهُ عَنِ العَقِيدَةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالاقْتِصَادِ وَالسِّيَاسَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالأُسْرَةِ وَالمُجْتَمَعِ ... وَغَيْرِهَا، وَإِحْلاَلُ القَوَانِينِ وَالنُّظُمِ الوَضْعِيَّةِ مَكَانَهُ، وَالصَّدُّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَتَعْطِيلِ حُدُودِهِ.

فَهَذَا المُصْطَلَحُ يَعْنِي: الفَصْل بَيْنَ الدِّينِ وَسُلْطَاتِ الدَّوْلَةِ، أَيْ: الاعْتِمَادُ عَلَى (القَوَانِينِ الوَضْعِيَّةِ) بَدَلاً مِنَ (القَوَانِينِ الإِلَهِيَّةِ) فِي التَّعَامُلِ بِكُلِّ مَا يَخُصُّ إِدَارَةَ شُؤُونِ الدَّوْلَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ ....

وَ(العَلْمَانِيَّةُ) فِكْرَةٌ تَمَخَّضَتْ نَتِيجَةَ صِرَاعٍ دَامٍ وَطَوِيلٍ بَيْنَ طَبَقَاتِ المُجْتَمَعِ وَرِجَالِ الدِّينِ الكَنَسِيِّ (الكَهَنُوتِ) فِي أُورُبَّا؛ إِلَى أَنْ تَمَّ الانْتِصَارُ لأَصْحَابِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى أَصْحَابِ الكَهَنُوتِ فِي الكَنِيسَةِ.

فَـ(العَلْمَانِيَّةُ) -فِي مِيزَانِ الإِسْلاَمِ- مَفْهُومٌ جَاهِلِيٌّ [لاَ صِلَةَ لَهُ بِالعِلْمِ] يَتَعَارَضُ مَعَ الإِسْلاَمِ تَعَارُضًا تَامًّا فِي شَتَّى المَجَالاَتِ؛ لأَنَّ الإِسْلاَمَ دِينٌ مُتَكَامِلٌ جَاءَ لِيُنَظِّمَ الحَيَاةَ كُلَّهَا وَيُوَجِّهُ النَّاسَ إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. وَانْظُرْ: كِتَابِي «إِبْدَاع الفَوْضَى».

عِلِّيِّينَ، وَالَّتِي يُرِيدُ الأَفَّاكُ الأَثِيمُ اليَوْمَ اجْتِثَاثَهَا مِنْ جُذُورِهَا لِتَهْوِي السَّفِينَةُ فِي قَاعٍ عَمِيقٍ .. وَ"لَبَسَ الزِّنْدِيقُ لِبَاسَ الصِّدِّيقِ"؛ وَلَكِنْ مُسَبِّحًا بِحَمْدِ الطَّوَاغِيتِ أَرْبَابِ نِعْمَتِهِ؛ الَّذِينَ كَبَّلُوا لَهُ الأُسُودَ وَقَيَّدُوهُمْ بِالأَغْلَالِ وَالأَصْفَادِ وَكَمَّمُوا أَفْوَاهَهُمْ، لِيَنْبَحَ فِي السَّاحَةِ وَحْدَهُ وَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ!! ..

وَإِذَا خَلَا الجَبَانُ بِأَرْضٍ طَلَبَ الطَّعْنَ وَحْدَهُ وَالنِّزَالَا

وَفِي زَمَنِ الخَسَاسَةِ وَالدَّيَاثَةِ؛ بَاعَ الخَسِيسُ أُمَّهُ فِي سُوقِ النُّخَاسَةِ!

صَنَعُوهُ عَلَى أَعْيُنِهِمْ وَأَرْضَعُوهُ لِبَانَ الفِسْقِ وَالجَهْلِ وَالمُجُونِ؛ لِلدَّعْوَةِ إِلَى مُخَطَّطَاتِ الجَهْلِ وَالتَّضْلِيلِ، وَلِيَحْمِلَهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ الَّذِينَ يُجَرَّعُونَهُمُ الغُصَصَ وَيُرْهِقُونَهُمُ العُسْرَ! **"إِنَّهُمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا"**[1]

فَيَالَيْتَهُمْ كَانُوا مِنْ قَوْمٍ آخَرِينَ!!

***

أَيْقَظَ اليَهُودُ أُمَّتَهُمْ مِنْ سُبَاتٍ، وَجَمَعُوا شَرَاذِمَهُمْ مِنْ شَتَاتٍ، وَأَحْيُوا لُغَتَهُمْ مِنْ مَوَاتٍ، وَمَزَّقُوا عَنْهَا الأَكْفَانَ، وَأَيْقَظُوا كُلَّ وَسْنَانٍ، وَاعْتَزُّوا بِعَقِيدَتِهِم

---

(١) جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٣٦٠٦، ٧٠٨٤)، وَمُسْلِمٌ (ح ١٨٤٧). وَانْظُرْ شَرْحَهُ فِي الفَتْحِ (١٣/ ٣٩:٤١)، وَشَرْحِ مُسْلِمٍ (١٢/ ٢٣٨:٢٣٧).

وَشَرِيعَتِهِمْ ... تَجَمَّعُوا عَلَىٰ اليَهُودِيَّةِ وَتَفَرَّقْنَا عَنِ الإِسْلَامِ! .. عَمِينَا عَنْ نُورِ اللهِ؛ فَتَقَاسَمْنَا ظُلُمَاتِ الطَّوَاغِيتِ!!

وَوَقَفَتِ الأُمَّةُ أَمَامَ عَدُوِّهَا عَارِيَةً مِنْ أَمْضَىٰ أَسْلِحَتِهَا: سِلَاحُ الإِيمَانِ، وَعَدُوُّهُمْ يَرْفَعُ التَّوْرَاةَ مُقَاتِلًا لِأَعْدَاءِهَا وَلِإِقَامَةِ دَوْلَةٍ لَهَا .. عَقِيدَةٌ فِي مُوَاجَهَةِ ضَيَاعٍ وَتَمَزُّقٍ؛ فَمَنْ يَنْتَصِرُ؟..

***

شُعُوبٌ مُضَلَّلَةٌ، مُنَوَّمَةٌ مُخَدَّرَةٌ، سَادِرَةٌ فِي لَهْوِهَا وَعَبَثِهَا؛ تَرْتَمِي فِي أَحْضَانِ مَنْ أَوْقَدُوا لَهَا النَّارَ وَجَرَّعُوهَا الهَوَانَ، وَإِقْصَاءٌ لِلْعَقِيدَةِ المُجَاهِدَةِ وَالطَّاقَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ الفَاعِلَةِ عَنْ سَاحَةِ المَعْرَكَةِ ...

وَحُكَّامٌ طَوَاغِيتُ سَدَنَةٌ لِلْفِكْرِ الغَرْبِيِّ -عَقِيدَةً أَوْ جَهْلًا-، وَأَنْظِمَةٌ قَمْعِيَّةٌ قَهْرِيَّةٌ مُسْتَبِدَّةٌ فَاسِدَةٌ، مُرْتَبِطَةٌ وَمُعَزَّزَةٌ بِالغَرْبِ العَلْمَانِيِّ، وَدِكْتَاتُورِيَّاتٌ مُتَعَاقِبَةٌ مُتَشَابِهَةٌ، كُلَّمَا جَاءَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا[1].

---

(١) قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ أَهْلِ النَّارِ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (الأعراف/ ٣٨، ٣٩].

وَعُمَلَاءٌ خَوَنَةٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُمَاةُ القَضِيَّةِ وَأُسُودُهَا، وَالْمُنَافِحُونَ عَنْهَا، وَهُمُ الَّذِينَ أَوْصَلُوا الأُمَّـةَ إِلَى التَّفَكُّكِ وَالضَّيَاعِ، وَيَعُدُّونَ لَـهَا القَبْرَ وَالكَفَنَ، وَمَهَّدُوا الطُّرُقَ وَفَتَحُوهَا لِأَهْلِ البَاطِلِ وَالضَّلَالِ حَتَّىٰ يَسُودَ صِيَاحُهُمُ السَّاحَةَ الإِسْلَامِيَّةَ!!

وَمُثَقَّفُونَ جَهَلَةٌ بِدِينِهِمُ الحَقِّ، يَتَصَارَعُونَ عَلَىٰ "إِيدْيُولُوجِيَّاتٍ" وَنُظُمٍ وَثِقَافَاتٍ اسْتَوْرَدُوهَا مِنَ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ لَا تَمُتُّ لِـهَذَا الدِّينِ بِصِلَةٍ.

***

"فَرْدِيَّةٌ جَانِحَةٌ طَاغِيَةٌ تُدَمِّرُ الْمُجْتَمَعَ وَتُفَكِّكُ المَجْمُوعَ .. وَجَمَاعِيَّةٌ طَاغِيَةٌ تُدَمِّرُ الإِنْسَانَ وَتَسْحَقُ كِيَانَهُ"، مِلْكِيَّةٌ فَرْدِيَّةٌ تَسْتَعْبِدُ المَلَايِينَ .. وَمِلْكِيَّةٌ جَمَاعِيَّةٌ تَسْتَعْبِدُ جُمُوعَ النَّاسِ.

مَنَاهِجُ مُضْطَرِبَةٌ وَازْدِوَاجِيَّةٌ فِي المَعَايِيرِ، وَمَظَاهِرُ سُلُوكِيَّةٌ مُعْوَجَّـةٌ، وَمَظَاهِرُ زَنْدَقَةٍ وَنِفَاقٍ، وَدَعَوَاتٌ سَافِرَةٌ لِلْعَلْمَانِيَّةِ وَالإِلْـحَادِ وَالإِبَاحِيَّةِ وَالفُجُورِ، وَمُحَارَبَةٌ لِـمَظَاهِرِ التَّدَيُّنِ وَالتَّقْوَىٰ.

عَقِيدَةٌ مُنَحَّاةٌ عَنْ وَاقِعِ الأُمَّـةِ، مُبْعَدَةٌ عَنْ سَاحَاتِ الوَغَىٰ؛ وَيَالَلْعَجَـب!! .. أَحْقَرُ عَقِيدَةٍ -تِلْكَ الَّتِي تُقَدِّسُ البَقَرَةَ وَتَتَبَرَّكُ بِأَرْوَاثِهَا- لَـهَـا دَوْلَةٌ تَحْمِيهَا .. وَأَقْدَسُ عَقِيدَةٍ وَأَسْمَاهَا يَرْمِيهَا الغُرَبَاءُ وَالأَبْنَاءُ!! . . .

مُجْتَمَعٌ مُفَكَّكٌ تَسُودُهُ الشَّحْنَاءُ وَالبَغْضَاءُ وَالكَرَاهِيَةُ بَيْنَ أَعْضَائِهِ الْمُتَنَافِرَةِ .. وَطَاقَاتٌ مَهْدُورَةٌ ضَائِعَةٌ .. وَأَمْوَالٌ تُنْفَقُ فِي الْمُجُونِ وَالفَسَادِ وَالإِفْسَادِ .. وَشَبَابٌ مَسْخٌ مُشَوَّهٌ ضَائِعٌ تَائِهٌ بِلَا جُذُورٍ، قَدْ قَطَعُوهُ عَنْ مَاضِي أَسْلَافِهِ الغُرِّ الْمَيَامِينَ، وَأَضْحَىٰ مِنْ غَيْرِ عَقِيدَةٍ دَافِعَةٍ .. وَحَرْبٌ ضَرُوسٌ عَلَىٰ شَبَابِ الصَّحْوَةِ الَّذِي يَتَحَرَّقُ إِلَىٰ نُصْرَةِ دِينِ اللهِ وَإِعَادَةِ مَجْدِ الأُمَّةِ .. وَضِيقٌ وَتَبَرُّمٌ بِمَنْ يَفِيقُ مِنَ الهَوَىٰ وَالْمُجُونِ!

***

" انْكَشَفَ الْغِطَاءُ، وَبَرَحَ الخَفَاءُ، وَخَلَعَتْ لُبْسَةَ الْإِسْلَامِ، وَنَزَعَتْ حِلْيَةَ الْإِيمَانِ، وَظَهَرَتِ الرِّدَّةُ، وَانْكَشَفَ قِنَاعُهَا، وَقُدِحَتْ زِنَادُ الزَّنْدَقَةِ فَاضْطَرَمَتْ نِيرَانُهَا.

عَظُمَتِ الْبَلِيَّةُ، وَاشْتَدَّتِ الرَّزِيَّةُ، وَظَهَرَ الْمُبْتَدِعُونَ، وَتَبَجَّحَ الشَّهْوَانِيُّونَ، وَتَنَطَّعَ الْمُتَنَطِّعُونِ، وَانْتَشَرَتِ الْبِدَعُ، وَمَاتَ الْوَرَعُ"[1]، وَهُتِكَتِ السُّتُورُ وَعَمَّ

---

(١) انْظُرِ (الإِبَانَة) لِابْنِ بَطَّةَ (١/ ١٦٣ - ١٦٥)؛ حَيْثُ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

"يَا إِخْوَانِي، عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ غَلَبَةِ الْأَهْوَاءِ وَمُشَاحَنَةِ الْآرَاءِ، وَأَعَاذَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ نُصْرَةِ الخَطَأِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَزَخَارِيفِ الشَّيْطَانِ، فَقَدْ كَثُرَ الْمُغْتَرُّونَ بِتَمْوِيهَاتِهَا، وَتَبَاهَى الزَّائِغُونَ وَالجَاهِلُونَ بِلُبْسَةِ حُلَّتِهَا، فَأَصْبَحْنَا وَقَدْ أَصَابَنَا مَا أَصَابَ الْأُمَمَ قَبْلَنَا، وَحَلَّ الَّذِي حَذَّرَنَاهُ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفُرْقَةِ

الفُجُورُ.

انْتَشَرَتِ الفِتَنُ، وَعَمَّتِ المِحَنُ، وَاسْتُعْلِنَ المُنْكَرُ، وَاسْتَشْرَىٰ الفَسَادُ وَسَادَ نُظُمَ الحَيَاةِ وَقِيَمَهَا، وَرَاجَتْ سُوقُ الفَوَاحِشِ وَالمُوبِقَاتِ: فِسْقٌ وَفُجُورٌ، تَبَرُّجٌ

وَالِاخْتِلَافِ، وَتَرْكِ الجَمَاعَةِ وَالِائْتِلَافِ، وَوَاقِعَ أَكْثَرُنَا الَّذِي عَنْهُ نُهِينَا، وَتَرَكَ الجُمْهُورُ مِنَّا مَا بِهِ أُمِرْنَا، فَخَلَعَتْ لُبْسَةَ الْإِسْلَامِ، وَنَزَعَتْ حِلْيَةَ الْإِيمَانِ، وَانْكَشَفَ الْغِطَا، وَبَرَحَ الخَفَا، فَعُبِدَتِ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتُعْمِلَتِ الْآرَاءُ، وَقَامَتْ سُوقُ الْفِتْنَةِ، وَانْتَشَرَتْ أَعْلَامُهَا، وَظَهَرَتِ الرِّدَّةُ، وَانْكَشَفَ قِنَاعُهَا، وَقُدِحَتْ زِنَادُ الزَّنْدَقَةِ فَاضْطَرَمَتْ نِيرَانُهَا، وَخُلِفَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُمَّتِهِ بِأَقْبَحِ الخَلَفِ، وَعَظُمَتِ الْبَلِيَّةُ، وَاشْتَدَّتِ الرَّزِيَّةُ وَظَهَرَ الْمُبْتَدِعُونَ، وَتَنَطَّعَ الْمُتَنَطِّعُونِ، وَانْتَشَرَتِ الْبِدَعُ، وَمَاتَ الْوَرَعُ، وَهُتِكَتْ سُجُفُ الْمُشَايَنَةِ، وَشُهِرَ سَيْفُ المَحَاشَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ أَمْرُهُمْ هَيِّنًا، وَحَدُّهُمْ لَيِّنًا وَذَاكَ حَتَّى كَانَ أَمْرُ الْأُمَّةِ مُجْتَمِعًا، وَالْقُلُوبُ مُتَآلِفَةً، وَالْأَئِمَّةُ عَادِلَةً، وَالسُّلْطَانُ قَاهِرًا، وَالحَقُّ ظَاهِرًا، فَانْقَلَبَتِ الْأَعْيَانُ، وَانْعَكَسَ الزَّمَانُ، وَانْفَرَدَ كُلُّ قَوْمٍ بِبِدْعَتِهِمْ، وَحُزِّبَ الْأَحْزَابُ، وَخُولِفَ الْكِتَابُ، وَاتُّخِذَ أَهْلُ الْإِلْحَادِ رُءُوسًا أَرْبَابًا، وَتَحَوَّلَتِ الْبِدْعَةُ إِلَى أَهْلِ الِاتِّفَاقِ، وَتَهَوَّكَ فِي الْعُسْرَةِ الْعَامَّةُ وَأَهْلُ الْأَسْوَاقِ، وَنَعَقَ إِبْلِيسُ بِأَوْلِيَائِهِ نَعْقَةً فَاسْتَجَابُوا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَأَقْبَلُوا نَحْوَهُ مُسْرِعِينَ مِنْ كُلِّ قَاصِيَةٍ، فَأُلْبِسُوا شِيَعًا، وَمُيِّزُوا قِطَعًا، وَشَمَتَتْ بِهِمْ أَهْلُ الْأَدْيَانِ السَّالِفَةِ، وَالمَذَاهِبِ المُخَالِفَةِ، فَإِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا عُقُوبَةٌ أَصَابَتِ الْقَوْمَ عِنْدَ تَرْكِهِمْ أَمْرَ الله، وَصَدْفِهِمْ عَنِ الحَقِّ، وَمَيْلِهِمْ إِلَى الْبَاطِلِ، وَإِيثَارِهِمْ أَهْوَاءَهُمْ، وَلله عَزَّ وَجَلَّ عُقُوبَاتٌ فِي خَلْقِهِ عِنْدَ تَرْكِ أَمْرِهِ، وَمُخَالَفَةِ رُسُلِهِ، فَأُشْعِلَتْ نِيرَانُ الْبِدَعِ فِي الدِّينِ، وَصَارُوا إِلَى سَبِيلِ الْمُخَالِفِينَ، فَأَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ المَاضِينَ، وَصِرْنَا فِي أَهْلِ الْعَصْرِ الَّذِينَ وَرَدَتْ فِيهِمُ الْأَخْبَارُ، وَرُوِيَتْ فِيهِمُ الْآثَارُ."أ.هـ.

قُلْتُ: فَإِنْ قَالَ هَذَا فِي أَهْلِ زَمَانِهِ؛ فَمَاذَا نَقُولُ عَنْ أَهْلِ زَمَانِنَا؟

وَسُفُورٌ، مَرَاقِصُ وَخُمُورٌ .. صَالَاتُ قِمَارٍ، مَصَارِفُ رِبَا، مَعَاهِدُ تُدَرِّسُ الفُجُورَ بِاسْمِ الفَنِّ .. إِعْلَامٌ يَنْشُرُ الفَسَادَ وَيَحُضُّ عَلَى الرَّذِيلَةِ .. تَكْرِيمٌ لِأَهْلِ الفَوَاحِشِ وَالفُجُورِ الَّذِينَ تَوَعَّدَهُمُ بِالعَذَابِ الأَلِيمِ .. إِعْلَاءٌ لِشَأْنِ الرَّاقِصَاتِ وَالمُتَخَنِّثِينَ وَالمُتَرَجِّلَاتِ[1] .. تَقْرِيبٌ لِمَنْ بَعَّدَهُ، وَإِبْعَادٌ لِمَنْ قَرَّبَهُ .. مُعَادَاةٌ لِمَنْ وَالَى وَمُوَالَاةٌ لِمَنْ عَادَ .. إِعْزَازٌ لِمَنْ أَذَلَّ، وَإِذْلَالٌ لِمَنْ أَعَزَّ اللهُ .. أَمْوَالٌ تُنْفَقُ بِغَيْرِ حِسَابٍ لِلْإِضْلَالِ وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ[2].

مُتَاجَرَةٌ بِالغَرَائِزِ: أَدَبٌ مَكْشُوفٌ، وَأَغَانٍ خَلِيعَةٌ، وَأَفْلَامٌ دَاعِرَةٌ، وَصُوَرٌ فَاجِرَةٌ .. إِشَاعَةٌ لِلْفَاحِشَةِ وَتَدْمِيرٌ لِلْفَضِيلَةِ .. إِغْرَاقٌ فِي الفُسُوقِ وَالعِصْيَانِ،

---

(١) عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٥٨٨٥)، وَأَبُو دَاوُدَ (ح ٤٩٣٠)، وَالتِّرْمِذِيُّ (ح ٢٧٨٥، ٢٧٨٦)، وَأَحْمَدُ فِي مَوَاضِعَ مِنْ مُسْنَدِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَغَيْرُهُمْ.

وَفِي رِوَايَةٍ: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَالمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَقَالَ: «أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ»، قَالَ: فَأَخْرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فُلَانًا، وَأَخْرَجَ عُمَرُ فُلَانًا.

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ [أَيْ: عِكْرِمَةُ]: فَقُلْتُ: مَا المُتَرَجِّلَاتُ مِنَ النِّسَاءِ؟ قَالَ: «المُتَشَبِّهَاتُ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ».

(٢) يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (الأَنْفَال/ ٣٦).

وَالفَسَادِ وَالإِضْلَالِ[1]. ...

***

وَطَفَحَ الْمُجْتَمَعُ بِالآثَامِ وَالأَوْزَارِ ... وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِ الإِسْلَامِ جَرَاثِيمُ الانْحِلَالِ الغَرْبِيِّ، وَانْحِطَاطِهِمُ العَقَدِيِّ وَالخُلُقِيِّ.

مَحَاكِمُ تَحْكُمُ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ : تَعْطِيلٌ لِلْحُدُودِ، وَتَضْيِيعٌ لِلْحُقُوقِ، وَتَضْيِيقٌ عَلَى أَهْلِ الإِيمَانِ، وَتَجَرُّئٌ لِأَهْلِ الفُجُورِ عَلَى الفَسَادِ ... إِعْرَاضٌ عَنْ شَرْعِ اللهِ، وَتَجْمِيدٌ لِأَحْكَامِهِ، وَتَعْطِيلٌ لِشَرِيعَتِهِ، وَأَحْزَابٌ عَلْمَانِيَّةٌ تُحَارِبُ -جَهْرًا- اللهَ وَرَسُولَهُ .. تَمَائِمُ شِرْكِيَّةٌ، وَكَهَانَاتٌ كُفْرِيَّةٌ، وَانْتِشَارٌ لِلْبِدَعِ الاِعْتِقَادِيَّةِ وَالعَمَلِيَّةِ، هَيْمَنَةٌ لِلْأَفْكَارِ وَالمَفَاهِيمِ وَالثَّقَافَاتِ غَيْرِ الإِسْلَامِيَّةِ، رَفْضٌ لِلسُّنَنِ الثَّابِتَةِ، وَتَأْيِيدٌ لِلْبِدَعِ الرَّائِجَةِ، تَمَلُّقٌ لِأَهْوَاءِ العَوَامِ وَشَهَوَاتِ الخَوَاصِ .. جَاهِلِيَّاتٌ فِي العَقَائِدِ وَالمَبَادِئِ وَالقِيَمِ وَالمُثُلِ وَالأَفْكَارِ وَالتَّصَوُّرَاتِ وَالسُّلُوكِ وَالعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ وَالأَخْلَاقِ!

آلَ الأَمْرُ لِغَيْرِ أَهْلِهِ وَوُسِدَ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ[1]؛ فَتَرَى إِهْمَالًا لِلثَّقَاتِ،

---

(١) يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ (النُّور/ ١٩).

وَصُعُودًا لِلنَّكِرَاتِ، وَتَمْكِينًا لِأَهْلِ البِدَعِ وَالأَهْوَاءِ، وَتَوْلِيَةً لِلْفَسَقَةِ وَالظَّلَمَةِ مَقَالِيدَ الأُمُورِ، وَتَرَبَّعَ أَهْلُ الجَهْلِ في مَجَالِسِ العِلْمِ(٢)، وَحُجِبَ العُلَمَاءُ وَالعَامِلُونَ المُخْلِصُونَ المُدْرِكُونَ لِحَقَائِقِ الدِّينِ الَّذِينَ يُبَصِّرُونَ النَّاسَ بِحَقِيقَتِهِ وَحَقَائِقِهِ، وَمُنِعُوا مِنَ الإِصْلَاحِ وَالتَّغْيِيرِ، وَوُصِفُوا بِالأَوْصَافِ الذَّمِيمَةِ، وَصُوِّرُوا في صُورَةِ المُتَخَلِّفِينَ فِكْرِيًّا المُتَحَجِّرِينَ عَقْلِيًّا ... يَتَمَسَّكُونَ بِالقُشُورِ وَلَا يَفْقَهُونَ حَقَائِقَ الأُمُورِ، وَلَا تَزَالُ عُقُولُهُمْ في عَصْرِ البَدَاوَةِ وَالتَّخَلُّفِ؛ فَهُمْ رَجْعِيُّونَ، مُتَطَرِّفُونَ، جَامِدُونَ! ...

تَهَجُّمٌ وَتَطَاوُلٌ عَلَى الدِّينِ وَرِجَالِهِ تَحْتَ شِعَارِ "نَبْذِ التَّطَرُّفِ وَالإِرْهَابِ"، وَ"التَّنْوِيرِ"، وَ"حُرِّيَّةِ الفِكْرِ وَالإِبْدَاعِ" ...

تَحْرِيفٌ لِمَعَانِي الشَّرِيعَةِ بِاسْمِ التَّجْدِيدِ وَعَدَمِ الجُمُودِ؛ تَحْتَ ظِلِّ إِعْلَامٍ

---

(١) فَقَدْ سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ؛ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ؛ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٥٩، ٦٤٩٦).

(٢) فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا؛ فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ١٠٠، ٧٣٠٧)، وَمُسْلِمٌ (ح ٢٦٧٣).

فَاسِدٍ مُسَخَّرٍ لَيْلَ نَهَارَ مِنْ أَجْلِ هَذَا الهَدَفِ.

***

إِظْهَارٌ لِلنَّكِرَاتِ الَّذِينَ يُمَيِّعُونَ قَضَايَا العَقِيدَةِ وَيَسْتَهْزِءُونَ بِالسُّنَنِ وَيُطَعْنُونَ فِي ثَوَابِتِ الدِّينِ؛ فِي ثَوْبِ العُلَمَاءِ المُعْتَدِلِينَ، وَالمُفَكِّرِينَ المُجَدِّدِينَ، وَالدُّعَاةِ المُصْلِحِينَ، وَأَصْحَابِ الخِبْرَاتِ الوَاسِعَةِ وَالفِكْرِ المُسْتَنِيرِ، مَعَ خَلْعِ الأَلْقَابِ عَلَيْهِمْ وَإِحَاطَتِهِمْ بِهَالَاتِ التَّقْدِيسِ لِنَشْرِ الفِكْرِ الضَّالِّ المُنْحَرِفِ وَالمَبَادِئِ البَاطِلَةِ ...

وَتَفَيْهَقَ وَتَشَدَّقَ الرُّوَيْبِضَةُ[1] فِي أَمْرِ العَامَّةِ؛ فَأَتَىٰ لَهُمْ بِمَا لَمْ تَأْتِ بِهِ الأَوَائِلُ، وَأَسْمَعَهُمْ مَا لَمْ يَسْمَعُوا هُمْ وَلَا آبَاؤُهُمْ.

***

وَعُلَمَاءُ سُوءٍ وَخُطَبَاءُ فِتْنَةٍ؛ بَاعُوا دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ، يُصَدِّقُونَ

---

(١) فَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَمَامَ الدَّجَّالِ سِنِينَ خَدَّاعَةً، يُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ، وَيَتَكَلَّمُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» . قِيلَ: وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ؟ قَالَ: «الْفُوَيْسِقُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو يَعْلَى وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ. وَلَهُ شَاهِدٌ. وَانْظُرْ: مَجْمَع الزَّوَائِدِ (٧ / ٢٨٤)، وَالصَّحِيحَةَ (ح ١٨٤٣)، وَانْظُرْ: (شَرْح مُشْكَلِ الآثَارِ) لِلطَّحَاوِيِّ (١/ ٤٠٤-٤٠٥).

عَلَىٰ الكَذِبِ وَيُعِينُونَ عَلَىٰ الظُّلْمِ[1]، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا وَلَا يُغَيِّرُونَ فَاسِدًا، وَلَا يَنْصَحُونَ جَاهِلًا، وَلَا يَصْدَعُونَ بِكَلِمَةِ حَقٍّ، وَلَا يَنْبِسُونَ بِبِنْتِ شَفَةٍ [أَيْ: مَا يَتَكَلَّمُونَ بِكَلِمَةٍ] ضِدَّ الظُّلْمِ وَلَا الظَّالِمِينَ .. التَّمَلُّقُ سَجِيَّتُهُمْ، وَالهَوَىٰ رَائِدُهُمْ؛ وَنَسُوا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ (هُود/ ١١٣)، دِينُهُمُ الدِّرْهَمُ وَالدِّينَارُ .. أَهَانُوا عِلْمَهُمْ، وَفَرَشُوهُ تَحْتَ أَقْدَامِ أَصْحَابِ المَالِ وَالجَاهِ، فَهَانُوا عَلَىٰ النَّاسِ، وَأَضْحُوا فِتْنَةً لِكُلِّ مَفْتُونٍ، يَصْدُقُ فِيهِمْ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:[2] «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي؛ كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ**».

---

(١) فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّهُ سَتَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ؛ مَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ؛ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الحَوْضَ. وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ؛ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الحَوْضَ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٧/ ١٦٠، ١٦١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (ح ٢٢٥٩)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ (ح ١٨٤٣).

(٢) كَمَا فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ (ص ٥٦)، وَأَيْضًا صَحِيحِ الجَامِعِ.

قَالَ المُنَاوِيُّ فِي (فَيْضِ القَدِيرِ) (٢/ ٤١٩ ح ٢١٩١): "قَوْلُهُ: (عَلِيمِ اللِّسَانِ) أَيْ: كَثِيرُ عِلْمِ اللِّسَانِ، جَاهِلُ الْقَلْبِ وَالْعَمَلِ، اتَّخَذَ العِلْمَ حِرْفَةً يَتَأَكَّلُ بِهَا، ذَا هَيْبَةٍ وَأُبَّهَةٍ، يَتَعَزَّزُ وَيَتَعَاظَمُ بِهَا، يَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللهِ وَيَفِرُّ هُوَ مِنْهُ، وَيَسْتَقْبِحُ عَيْبَ غَيْرِهِ، وَيَفْعَلُ مَا هُوَ أَقْبَحُ مِنْهُ، وَيُظْهِرُ لِلنَّاسِ التَّنَسُّكَ وَالتَّعَبُّدَ، وَيُسَارِرُ رَبَّهُ بِالعَظَائِمِ، إِذَا خَلَا بِهِ ذِئْبٌ مِنَ الذِّئَابِ لَكِنْ عَلَيْهِ ثِيَابٌ. =

وَعَنْ زِيَادِ بْنِ حُدَيْرٍ؛ قَالَ:[١] قَالَ لِي عُمَرُ [رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]: «هَلْ تَعْرِفُ مَا يَهْدِمُ الْإِسْلَامَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «يَهْدِمُهُ زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ الْمُنَافِقِ بِالْكِتَابِ، وَحُكْمُ الْأَئِمَّةِ الْمُضِلِّينَ».

وَقَدْ وَرَدَ نَحْوَهُ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَيْثُ قَالَ:[٢] «إِنَّ مِمَّا أَخْشَى عَلَيْكُمْ: زَلَّةُ الْعَالِمِ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ حَقٌّ، وَعَلَى الْقُرْآنِ مَنَارٌ كَمَنَارِ الطَّرِيقِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا مِنَ الدُّنْيَا فَلَا دُنْيَا لَهُ».

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ:[٣] «قَصَمَ ظَهْرِي رَجُلَانِ: عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ

=فَهَذَا هُوَ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ الشَّارِعُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَا حَذَرًا مِنْ أَنْ يَخْطَفَكَ بِحَلَاوَةِ لِسَانِهِ، وَيَحْرِقَكَ بِنَارِ عِصْيَانِهِ، وَيَقْتُلَكَ بِنَتَنِ بَاطِنِهِ وَجِنَانِهِ".

(١) رَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ (ح ١٤٧٥)، وَالدَّارِمِيُّ (١/ ٧١)، وَابْنُ عَبْدِ البَرِّ فِي بَيَانِ العِلْمِ (٢/ ١١٠)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ (٤/ ١٩٦)، وَغَيْرُهُمْ، وَانْظُرْ: شَرْحَ السُّنَّةِ لِلْبَغَوِيِّ (١/ ٣١٧). وَهُوَ صَحِيحٌ.

(٢) رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ (١/ ٢١٩)، وَانْظُرْ: (جَامِع بَيَانِ العِلْمِ) لِابْنِ عَبْدِ البَرِّ (٢/ ١١٠)، وَ(المُوَافَقَات) لِلشَّاطِبِيِّ (٤/ ١٦٨).

وَانْظُرْ: مَجْمَع الزَّوَائِدِ [بَابُ مَا يُخَافُ عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ زَلَّةِ الْعَالِمِ وَجِدَالِ الْمُنَافِقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ].

(٣) انْظُرْ: (الرَّسُول وَالعِلْم) لِلْقَرَضَاوِيِّ (ص ٧٥).

فَـ(الفَاجِرُ المُتَهَتِّكُ): لَا هَمَّ لَهُ إِلَّا النَّيْلَ مِنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللهُ بِهِ، وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ، وَنَصَرَ اللهُ بِهِ=

= أَمَّتَنَا وَأَعْلَى قَدْرَهَا، وَشَرَّفَهَا فِي العَالَمِينَ، فَهَذَا (الفَاجِرُ المُتَهَتِّكُ) لَا يُرِيدُ هَذَا، يُرِيدُ مَبْدَأً آخَرَ، وَشَرِيعَةً أُخْرَى، وَقِيَمًا أَرْضِيَّةً، فَهُوَ لِذَلِكَ يَتَّخِذُ مِنْ حُمَاةِ الدِّينِ وَحَمَلَتِهِ وَالْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِ خَصْمًا وَعَدُوًّا لَدُودًا؛ يَنَالُهُمْ فِي كِتَابَاتِهِ، وَمَجَالِسِهِ، وَتَأْلِيفِهِ.

وَ(الجَاهِلِ المُتَنَسِّكِ): تَدَيَّنَ وَلَكِنَّهُ جَاهِلٌ بِالعِلْمِ الشَّرْعِيِّ؛ لَمْ يُحَقِّقْ مَسَائِلَهُ، وَلَمْ يَطْلُبِ الدَّلِيلَ عَلَى يَدِ المَشَايِخِ، وَلَمْ يُثْنِ رُكْبَهُ عِنْدَ العُلَمَاءِ، وَلَمْ يَبْذُلْ جَهْدًا فِي مَعْرِفَةِ الحَقِّ، وَلَمْ يَرْسَخْ فِي فَهْمِ الدَّلِيلِ، بَلْ رَكِبَ الصَّعْبَ وَالذَّلُولَ فِي تَحْقِيقِ أَغْرَاضِهِ؛ فَكُلَّمَا فَهِمَ [بِفَهْمِهِ القَاصِرِ المُخْتَلِّ] مِنَ الدَّلِيلِ شَيْئًا أَصْدَرَهُ، فَهُوَ [عَلَى غَيْرِ هُدًى]: المُكَفِّرُ، وَالمُبَدِّعُ، وَالمُفَسِّقُ، وَالمُضَلِّلُ، وَهُوَ النَّاجِي وَحْدَهُ، وَالسَّالِمُ مِنَ الخَطَأِ وَحْدَهُ وَمَنْ سَارَ عَلَى فَهْمِهِ المُخْتَلِّ، وَمَنْ خَالَفَهُ: زِنْدِيقٌ، أَوْ كَافِرٌ، أَوْ مُرْتَدٌّ، أَوْ ضَالٌّ، أَوْ فَاسِقٌ. وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: «هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "رُوِيَ (أَهْلَكُهُمْ) عَلَى وَجْهَيْنِ مَشْهُورَيْنِ: رَفْعُ الْكَافِ وَفَتْحُهَا، وَالرَّفْعُ أَشْهَرُ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّهُ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ رَوَيْنَاهَا فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ فِي تَرْجَمَةِ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ: فَهُوَ مِنْ أَهْلَكِهِمْ.

قَالَ الحُمَيْدِيُّ [رَحِمَهُ اللَّهُ] فِي الجَمْعِ بَيْنَ الصَّحِيحَيْنِ: الرَّفْعُ أَشْهَرُ. وَمَعْنَاهَا: أَشَدُّهُمْ هَلَاكًا. وَأَمَّا رِوَايَةُ الْفَتْحِ؛ فَمَعْنَاهَا: هُوَ جَعَلَهُمْ هَالِكِينَ لَا أَنَّهُمْ هَلَكُوا فِي الحَقِيقَةِ.

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ هَذَا الذَّمَّ؛ إِنَّمَا هُوَ فِيمَنْ قَالَهُ عَلَى سَبِيلِ: الْإِزْرَاءِ عَلَى النَّاسِ، وَاحْتِقَارِهِمْ، وَتَفْضِيلِ نَفْسِهِ عَلَيْهِمْ، وَتَقْبِيحِ أَحْوَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ سِرَّ اللهِ فِي خَلْقِهِ.

قَالُوا: فَأَمَّا مَنْ قَالَ ذَلِكَ تَحَزُّنًا لِمَا يَرَى فِي نَفْسِهِ وَفِي النَّاسِ مِنَ النَّقْصِ فِي أَمْرِ الدِّينِ؛ فَلَا بَأْسَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ لَا أَعْرِفُ مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ جَمِيعًا؛ هَكَذَا فَسَّرَهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ وَتَابَعَهُ النَّاسُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ الخَطَّابِيُّ [رَحِمَهُ اللَّهُ]: مَعْنَاهُ: لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَعِيبُ النَّاسَ وَتَذَكُّرُ مَسَاوِيَهُمْ، وَيَقُولُ: فَسَدَ النَّاسُ وَهَلَكُوا، وَنَحْوَ ذَلِكَ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ؛ أَيْ: أَسْوَأُ حَالًا مِنْهُمْ؛ بِمَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْإِثْمِ فِي عَيْبِهِمْ،

وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ. فَالجَاهِلُ يَغُرُّ النَّاسَ بِتَنَسُّكِهِ، وَالعَالِمُ يَغُرُّهُمْ بِتَهَتُّكِهِ».

وَقَالَ سُفْيَانُ:[1] «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الْعَابِدِ الْجَاهِلِ، وَفِتْنَةِ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ، فَإِنَّ

=وَالْوَقِيعَةِ فِيهِمْ، وَرُبَّمَا أَدَّاهُ ذَلِكَ إِلَى الْعُجْبِ بِنَفْسِهِ وَرُؤْيَتِهِ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ. وَاللهُ أَعْلَمُ". أ.هـ.

فَالحَذَرَ مِنَ المُعْجَبِ بِرَأْيِهِ وَالمُنْفَرِدِ بِالشَّاذِّ مِنَ الأَحْكَامِ، وَالحَذَرَ أَيْضًا مِن هَذَا الَّذِي يَلْغِي الدَّلِيلَ، وَيُخَالِفُ العُلَمَاءَ. فَأَمْثَالُ هَؤُلَاءِ يَصِيرُونَ مِثْلَ الخِنْجَرِ المَسْمُومِ فِي ظَهْرِ الأُمَّةِ.

وَانْظُرْ: (مَوْسُوعَة البُحُوثِ وَالمَقَالَاتِ العِلْمِيَّة) مِنْ عَلَى (الشَّبَكَة العَنْكَبُوتِيَّة)؛ بِاخْتِصَارٍ وَتَصَرُّفٍ وَزِيَادَةٍ وَنَقْصٍ.

(١) كَمَا فِي شَرْحِ السُّنَّةِ لِلْبَغَوِيِّ (١/ ٣١٨).

وَانْظُرْ: وَصِيَّةَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ إِلَى عَبَّادِ الخَوَّاصِ فِي الحِلْيَةِ لِأَبِي نُعَيْمٍ (٦/ ٣٧٦ - ٣٧٧)، فَعَنْ حَفْصِ بْنِ عَمْرٍو -وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ- قَالَ: كَتَبَ سُفْيَانُ إِلَى عَبَّادِ بْنِ عَبَّادٍ:

"أَمَا بَعْدُ: فَإِنَّكَ فِي زَمَانٍ كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُونَ أَنْ يُدْرِكُوهُ وَلَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَيْسَ لَنَا، وَلَهُمْ مِنَ الْقِدَمِ مَا لَيْسَ لَنَا؛ فَكَيْفَ بِنَا حِينَ أَدْرَكْنَاهُ عَلَى قِلَّةِ عِلْمٍ وَقِلَّةِ صَبْرٍ وَقِلَّةِ أَعْوَانٍ عَلَى الخَيْرِ وَفَسَادٍ مِنَ النَّاسِ وَكَدَرٍ مِنَ الدُّنْيَا. فَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ وَالتَّمَسُّكِ بِهِ، وَعَلَيْكَ بِالخُمُولِ فَإِنَّ هَذَا زَمَنُ خُمُولٍ، وَعَلَيْكَ بِالْعُزْلَةِ وَقِلَّةِ مُخَالَطَةِ النَّاسِ؛ فَقَدْ كَانَ النَّاسُ إِذَا الْتَقَوْا يَنْتَفِعُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَأَمَّا الْيَوْمُ فَقَدْ ذَهَبَ ذَاكَ، وَالنَّجَاةُ فِي تَرْكِهِمْ فِيمَا نَرَى. وَإِيَّاكَ وَالْأُمَرَاءَ أَنْ تَدْنُو مِنْهُمْ وَتُخَالِطُهُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تُخْدَعَ؛ فَيُقَالَ لَكَ: تَشْفَعُ وَتَدْرَأُ عَنْ مَظْلُومٍ أَوْ تُرَدَّ مَظْلِمَةً، فَإِنَّ ذَلِكَ خَدِيعَةُ إِبْلِيسٍ، وَإِنَّمَا اتَّخَذَهَا فُجَّارُ الْقُرَّاءِ سُلَّمًا، وَكَانَ يُقَالُ: اتَّقُوا فِتْنَةَ الْعَابِدِ الجَاهِلِ وَالْعَالِمِ الْفَاجِرِ فَإِنَّ فِتْنَتَهَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ، وَمَا لَقِيتَ مِنَ الْمَسْأَلَةِ وَالْفُتْيَا فَاغْتَنِمْ ذَلِكَ وَلَا تُنَافِسْهُمْ فِيهِ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ كَمَنْ يُحِبُّ أَنْ يُعْمَلَ بِقَوْلِهِ أَوْ يُنْشَرَ قَوْلُهُ أَوْ يُسْمَعَ مِنْ قَوْلِهِ، فَإِذَا تَرَكَ ذَاكَ مِنْهُ عُرِفَ فِيهِ. وَإِيَّاكَ وَحُبَّ الرِّيَاسَةِ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ=

فِتْنَتُهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ».

فَطُوبَى لِـمَنْ إِذَا مَاتَ مَاتَتْ مَعَهُ ذُنُوبُهُ؛ وَلِذَا قَالُوا: "زَلَّةُ العَالِمِ مَضْرُوبٌ بِهَا الطَّبْلُ".

وَدُعَاةٌ مُتَجَهِّمُونَ جَامِدُونَ لَا يَعْرِفُونَ فِقْهَ الدَّعْوَةِ وَلَا تَرْتِيبَ الأَوْلَوِيَّاتِ، وَلَا فَنَّ مُخَاطَبَةِ النَّاسِ، يَعْرِضُونَ دِينَهُمْ مُزَوَّرًا دَمِيمَ الخِلْقَةِ مُشَوَّهَ الوَجْهِ؛ فَيَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الدُّخُولِ فِيهِ، وَيَفْتِنُونَهُمْ عَنْ حَقِيقَتِهِ.

***

وَمُفَكِّرُونَ مَرْضَى ضَلُّوا السَّبِيلَ وَحَادُوا عَنِ الطَّرِيقِ، وَأَصْبَحُوا أُلْعُوبَةً فِي يَدِ دُهَاةِ الجُدُدِ لِلْعَلْمَانِيَّةِ، يَنْشَطُونَ فِي البَاطِلِ مَا لَا يَنْشَطُونَ فِي الحَقِّ، وَيَنْدَفِعُونَ مَعَ أَهْوَائِهِمْ مَا لَا يَنْدَفِعُونَ لِـمَرْضَاةِ اللهِ!

***

إِسْكَاتٌ لِلْأَلْسِنَةِ، وَإِحْصَاءٌ لِلْأَنْفَاسِ، وَإِرْصَادٌ لِلْكَلِمَاتِ .. قَصْفٌ لِلْأَقْلَامِ، وَعَقْلٌ لِلْأَفْكَارِ .. أَخْذٌ بِالشُّبُهَاتِ، وَتَلْفِيقٌ لِلتُّهَمِ .. مُطَارَدَةٌ وَمُلَاحَقَةٌ، وَتَشْرِيدٌ

=تَكُونُ الرِّيَاسَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَهُوَ بَابٌ غَامِضٌ لَا يُبْصِرُهُ إِلَّا الْبَصِيرُ مِنَ الْعُلَمَاءِ السَّمَاسِرَةِ. فَتَفَقَّدْ نَفْسَكَ وَاعْمَلْ بِنِيَّةٍ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ دَنَا مِنَ النَّاسِ أَمْرٌ يَشْتَهِي الرَّجُلُ أَنْ يَمُوتَ. وَالسَّلَامُ".

وَسُجُونٌ، سَحْلٌ وَتَقْتِيلٌ لِـمَنْ يَدْعُو النَّاسَ لِـمُحَارَبَةِ الشَّيْطَانِ وَحِزْبِهِ، مَآسٍ لِلشَّرَفِ وَمَصَارِعُ لِلشُّرَفَاءِ، تَبَجُّحٌ لِلْبَاطِلِ وَدَعْوَةٌ صَرِيحَةٌ لِـمَا يُنَاقِضُ الإِسْلَامَ .. سَحْلٌ لِلْحَمِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ! ..

هَمَجِيَّةٌ لَا مَثِيلَ لَـهَا، وَوَحْشِيَّةٌ لَا هَوَادَةَ فِيهَا!!

***

وَاقِعٌ كَئِيبٌ، وَصُورَةٌ شَوْهَاءُ لِشَرِّ خَلَفٍ لِـخَيْرِ سَلَفٍ، صَدَقَ فِيهِمْ قَوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[1] «**يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا**[2]»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ**[3]، **وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ،**

---

(١) كَمَا فِي صَحِيحِ الجَامِعِ (ح ٨١٨٣)، وَقَدْ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (ح ٤٢٩٧)، وَأَحْمَدُ (٥/ ٢٧٨).

(٢) أَيْ: كَمَا أَنَّ الفِئَةَ الآكِلَةَ يَتَدَاعَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى قَصْعَتِهِمُ الَّتِي يَتَنَاوَلُونَهَا مِنْ غَيْرِ مَانِعٍ وَلَا مُنَازِعَ فَيَأْكُلُونَهَا صَفْوًا مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ. كَذَلِكَ يَأْخُذُونَ مَا فِي أَيْدِيكُمْ بِلَا تَعَبٍ يَنَالُـهُمْ أَوْ ضَرَرٍ يَلْحَقُهُمْ أَوْ بَأْسٍ يَمْنَعُهُمْ.

قَالَ فِي المَجْمَعِ: أَيْ: يَقْرُبُ أَنَّ فِرَقَ الْكُفْرِ وَأُمَمَ الضَّلَالَةِ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ؛ أَيْ: يَدْعُو بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى الِاجْتِمَاعِ لِقِتَالِكُمْ وَكَسْرِ شَوْكَتِكُمْ؛ لِيَغْلِبُوا عَلَى مَا مَلَكْتُمُوهَا مِنَ الدِّيَارِ.

انْظُرْ: عَوْن المَعْبُود (١١/ ٢٧٣).

(٣) أَيْ: مَا يَحْمِلُهُ السَّيْلُ مِنْ زَبَدٍ وَوَسَخٍ، شَبَّهَهُمْ بِهِ لِقِلَّةِ شَجَاعَتِهِمْ وَدَنَاءَةِ قَدْرِهِمْ.

وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ[1]»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «**حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ**[2]».

***

يَتَلَاعَبُ بِنَا أَعْدَاؤُنَا بَلْ يَلْهُونَ بِنَا كَدُمَّي مُشَوَّهَةٍ بَيْنَ أَرْجُلِ الصِّغَارِ!

وَلَا عَجَبَ إِذَنْ أَنْ يُهْزَمَ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ مِلْيُونَ مِنْ غُثَاءٍ أَمَامَ ثَلَاثَةِ مَلَايِينَ مِنْ يَهُودٍ أَنْجَاسٍ .. وَلَكِنْ لَهُمْ عَقِيدَةٌ! وَ..."**مَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ عَظْمًا أَكَلَتْهُ الكِلَابُ**".

وَقَدْ قَالُوا قَدِيمًا: "**مَنْ نَامَ عَنْ عَدُوِّهِ نَبَّهَتْهُ المَكَائِدُ**"، أَمَّا نَحْنُ فَتَتَوَالَى النَّكَبَاتُ وَالكَوَارِثُ؛ فَمَا أَيْقَظَتْ مِنَّا نَائِمًا وَلَا نَبَّهَتْ مِنَّا سَاكِنًا، وَمَا أَفَقْنَا مِنْ سُبَاتٍ، وَمَا صَحَوْنَا مِنْ رُقَادٍ، وَمَنْ فَتَحَ مِنَّا عَيْنَيْهِ تَاهَتْ نَظَرَاتُهُ فِي الظَّلَامِ!...

تَتَغَيَّرُ الشُّخُوصُ وَالصُّوَرُ، وَيَبْقَى نَفْسُ المَضْمُونِ الأَسْوَدِ .. ظُلْمَةٌ ظَلْمَاءُ، وَفِتْنَةٌ عَمْيَاءُ، تَبْحَثُ عَمَّنْ يُبَدِّدُهَا، خِزْيٌ وَعَارٌ، وَذُلٌّ مَهِينٌ يَنْتَظِرُ مَنْ يَرْفَعُهُ ..

---

(١) الوَهْنُ: الضَّعْفُ فِي الْعَمَلِ وَالأَمْرِ، وَكَذَلِكَ فِي العَظْمِ وَنَحْوِهِ. وَرَجُلٌ وَاهِنٌ: ضَعِيفٌ لَا بَطْشَ عِنْدَهُ.

انْظُرْ: لِسَان العَرَب (٦/ ٤٩٣٤، ٤٩٣٥).

(٢) (حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ) وَهُمَا مُتَلَازِمَانِ؛ فَكَأَنَّهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى إِعْطَاءِ الدَّنِيَّةِ فِي الدِّينِ مِنَ الْعَدُوِّ الْمُبِينِ. انْظُرْ: عَوْن المَعْبُود (ح ٤٢٩١).

وَاقِعٌ أَسْوَدُ يَصْرُخُ فِينَا وَيَسْتَصْرِخُ مِنَّا الهِمَمَ؛ وَلَا مُجِيب!.

فَنَـاءٌ مُبِيـدٌ، وَذُعْـرٌ عَتِيـد وَجُوعٌ شَدِيدٌ، وَخَوفٌ وَضِيقُ

وَدَاعِي الصَّبَاحِ؛ بِطُولِ الصِّيَاحِ: السِّلَاحَ السِّلَاحَ؛ فَمَا نَسْتَفِيقُ[1]

***

وَمُخْلِصُونَ تَائِهُونَ، مُتَنَافِرُونَ، يَرْكُضُونَ يُمْنَةً وَيُسْرَةً؛ دُونَ ضَابِطٍ وَلَا رَابِطٍ، كُلَّمَا لَاحَ فِي الأُفُقِ عَلَمٌ هَرَعَ بَعْضُهُمْ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَرَيُّثٍ وَلَا تَثَبُّتٍ .. فَكَثُرَتِ الرَّايَاتُ وَتَخَبَّطَتِ الأَفْكَارُ وَالأَجْسَامُ بَحْثًا عَنِ الطَّرِيقِ، فَتَنَازَعَتِ الأَفْكَارُ، وَتَضَارَبَتِ الأَقْوَالُ، وَتَبَعْثَرَتِ الآرَاءُ، وَتَاهُ مِنْهُمُ الهَدَفُ، وَأَصَابَهُمْ دَاءُ كَثْرَةِ القَوْلِ وَقِلَّةِ العَمَلِ ... **إِهْمَالٌ تَرْبَوِيٌّ وَتَقْصِيرٌ دَعَوِيٌّ!**..

***

اخْتِلَالٌ فِي المَوَازِينِ، وَاخْتِلَاطٌ فِي الأَوْلَوِيَّاتِ؛ قَدْ يَنْحَدِرُ إِلَى تَعَصُّبٍ مَقِيتٍ وَزِرَايَةٍ بِالآخَرِينَ، وَغَيْبَةٍ وَتَجْرِيحٍ، وَاسْتِبَاحَةٍ لِلْخَوْضِ فِي الأَعْرَاضِ مَعَ أَدْنَى خِلَافٍ، وَتَتَبُّعٍ لِلزَّلَّاتِ وَالعَثَرَاتِ؛ دُونَ تَنَبُّهٍ لِحُقُوقِ الأُخُوَّةِ، وَوَاجِبِ نُصْحٍ، وَحُسْنِ ظَنٍّ، وَمَعْرِفَةٍ بِأَقْدَارِ الرِّجَالِ! ... لَا يَتَمَعَّرُ وَجْهُ أَحَدِهِمْ لِأَعْدَاءِ اللهِ -

---

(١) عُيُون الأَخْبَار (١/ ١٣٢) لِابْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أُمَيَّةَ.

بَلْ رُبَّمَا يَهُشُّ وَيَبُشُّ فِي وُجُهِهِمْ- وَيَشُنُّ حَرْبًا لَا هَوَادَةَ فِيهَا ضِدَّ إِخْوَانِهِ الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ ... يَتَعَامَلُ مَعَ "الآخَرِين" بِرِفْقٍ وَلِينٍ، وَبِغِلْظَةٍ وَجَفَاءٍ مَعَ الدُّعَاةِ الْمُخْلِصِينَ! ... أَصْبَحْنَا مُغَيَّبِينَ فَلَمْ نَعُدْ نَعْرِفَ الخَصْمَ مِنَ الشَّقِيقِ!!

***

تَمَزُّقٌ وَتَنَاحُرٌ، وَتَحَاقُدٌ وَتَحَاسُدٌ وَتَبَاغُضٌ: عَصَبِيَّاتٌ مَقِيتَةٌ، وَحِزْبِيَّاتٌ عَفِنَةٌ وَخُصُومَاتٌ شَدِيدَةٌ، وَعَدَاوَاتٌ مَرِيرَةٌ، قُلُوبٌ مُتَنَافِرَةٌ، وَأَفْكَارٌ مُشَتَّتَةٌ، وَأَعْمَالٌ مُتَبَاينَةٌ .. اتَّخَذُوا مِنَ الفُرْقَةِ دِينًا وَمِنَ البَغْضَاءِ طَرِيقًا، وَتَفَرَّقُوا شِيَعًا وَأَحْزَابًا ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المُؤْمِنُون/ ٥٣).

وَتَفَرَّقُوا شِيَعًا فَكُلُّ جَمَاعَةٍ فِيهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْبَرُ

***

اضْطِرَابٌ فِي المَنَاهِجِ، وَمُوَاجَهَةٌ مُتَرَجِّلَةٌ أَوْ مُدَاهَنَاتٌ مَقِيتَةٌ .. تَصَلُّبٌ مَرَضِيٌّ وَتَشَنُّجٌ، أَوْ تَمَيُّعٌ فِي الدِّينِ، وَتَنَازُلَاتٌ وَمُسَاوَمَاتٌ وَذَوَبَان فِي أَنْظِمَةٍ وَمَبَادِئِ الجَاهِلِيَّةِ "وَدُونَ أَمْنٍ مِنْ مَكْرِ تِلْكَ النُّظُمِ، وَعَدَمِ تَمْكِينٍ لِلْعَمَلِ بِشَرِيعَةِ الإِسْلَامِ"، وَافْتِرَاءَاتٌ مُتَبَادِلَةٌ "وَكَأَنَّهُمْ عَلَى أَدْيَانٍ مُتَنَافِرَةٍ وَمَذَاهِبَ مُتَنَاقِضَةٍ"، وَتَبَادُلٌ لِلتَّضْلِيلِ وَالتَّفْسِيقِ وَالتَّبْدِيعِ؛ دُونَ التَّنَبُّهِ لِمَا يُحَاكُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ مَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ وَمَا يُنْسَجُ لَهَا مِنْ مُؤَامَرَاتٍ.

***

وَحَشْوٌ طِغَامٌ، "وَهَمَجٌ رِعَاعٌ، أَتْبَاعٌ لِكُلِّ نَاعِقٍ"(١) كُلَّمَا صَاحَ بِهِمْ صَائِحٌ، أَوْ نَعَقَ نَاعِقٌ بِزُخْرُفِ القَوْلِ وَزُورٍ؛ هَرَعُوا إِلَيْهِ مُهَلِّلِينَ مُكَبِّرِينَ دُونَ تَبَصُّرٍ وَلَا

---

(١) قَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ العِبَارَةُ مِنْ قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ:
رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الحِلْيَةِ (١/ ٧٩ – ٨٠)، وَالخَطِيبُ فِي الفَقِيهِ وَالمُتَفَقِّه (١/ ٤٩ – ٥٠).
وَانْظُرْ: جَامِع بَيَانِ العِلْمِ (٢/ ١١٢)، وَمِفْتَاح دَارِ السَّعَادَةِ (ص ١٣٤).
وَ(الهَمَج مِنَ النَّاسِ): حُمَقَاؤُهُمْ وَجَهَلَتُهُمْ، وَأَصْلُهُ مِنَ (الهَمَجِ) جَمْع (هَمَجَة)؛ وَهُوَ ذُبَابٌ صَغِيرٌ كَالبَعُوضِ يَسْقُطُ عَلَى وُجُوهِ الغَنَمِ وَالدَّوَابِّ وَأَعْيُنِهَا، فَشَبَّهَ هَمَجَ النَّاسِ بِهِ.
وَ(هَمَج رِعَاع): هُوَ المُتَبَدِّدُ المُتَفَرِّقُ الَّذِي لَا نِظَامَ لَهُ، وَالمُرَادُ بِهِ: دُنَاةُ النَّاسِ وَأَرَاذِلُهُمُ الَّذِينَ لَا يُعْتَدُّ بِهِمْ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (البَقَرَة/ ١٧١).
وَالمَعْنَى أَنَّ مَنْ صَاحَ بِهِمْ وَدَعَاهُمْ تَبِعُوهُ سَوَاءٌ دَعَاهُمْ إِلَى هُدًى أَوْ إِلَى ضَلَالٍ، فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالَّذِي يَدْعُونَ إِلَيْهِ: أَحَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ؟ فَهُمْ مُسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَتِهِ.
وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَضَرِّ الخَلْقِ عَلَى الأَدْيَانِ، فَإِنَّهُمُ الأَكْثَرُونَ عَدَدًا الأَقَلُّونَ عِنْدَ اللهِ قَدْرًا، وَهُمْ حَطَبُ كُلِّ فِتْنَةٍ، بِهِمْ تُوقَدُ وَيَشُبُّ ضِرَامُهَا، فَإِنَّهَا يَهْتَزُّ لَهَا أُولُو الدِّينِ وَيَتَوَلَّهَا الهَمَجُ الرِّعَاعُ.
وَسُمِّيَ دَاعِيهِمْ نَاعِقًا تَشْبِيهًا لَهُمْ بِالأَنْعَامِ الَّتِي يَنْعَقُ بِهَا الرَّاعِي؛ فَتَذْهَبُ مَعَهُ أَيْنَمَا ذَهَبَ، وَهَذَا مِنْ عَدَمِ عِلْمِهِمْ وَظُلْمَةِ قُلُوبِهِمْ، فَلَيْسَ لَهُمْ نُورٌ وَلَا بَصِيرَةٌ يُفَرِّقُونَ بِهَا بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ؛ بَلِ الكُلُّ عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ، فَعُقُولُهُمْ ضَعِيفَةٌ تَمِيلُ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالآرَاءِ.
انْظُرْ: الفَقِيه وَالمُتَفَقِّه (١/ ٥٢)، وَمِفْتَاح دَارِ السَّعَادَة (ص ١٣٨).

رَوِيَّةٍ، تَجَارَتْ بِهِمُ الأَهْوَاءُ[1] وَعَضَّتْهُمُ الحَالِقَةُ[2]، وَ"وَقَعَ الأَعْمَى فِي الحُفْرَةِ

---

(١) فَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ، لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ». زَادَ فِي رِوَايَةٍ قَوْلَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه: «وَاللهِ! يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَغَيْرُكُمْ مِنَ النَّاسِ أَحْرَى أَنْ لَا يَقُومَ بِهِ».

رَوَاهُ أَحْمَدُ (٤/ ١٠٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (ح ٤٥٩٧)، وَقَدْ حَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ (ح ٣٨٤٣).

وَقَوْلُهُ (تُجَارَى): أَيْ: تَدْخُلُ وَتَسْرِي. وَقَوْلُهُ (كَمَا يَتَجَارَى الكَلَبُ): الكَلَبُ دَاءٌ يَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ عَضِّ الكَلْبِ، وَالكَلَبُ دَاءٌ يُصِيبُ الكَلْبَ؛ فَيُصِيبُهُ شِبْهَ الجُنُونِ.

(٢) الحَالِقَة: الخَصْلَةُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَحْلِقَ؛ أَيْ: تُهْلِكَ وَتَسْتَأْصِلَ الدِّينَ كَمَا يَسْتَأْصِلُ المُوسَى الشَّعْرَ. وَقِيلَ: هِيَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ وَالتَّظَالُمُ.

وَقَدْ وَرَدَتْ فِيهَا عِدَّةُ أَحَادِيثُ:

* فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله! قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ الحَالِقَةُ».

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (ح ٢٥٠٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (ح ٤٩١٩)، وَأَحْمَدُ (٦/ ٤٤٤- ٤٤٥)، وَالبُخَارِيُّ فِي الأَدَبِ المُفْرَد (ح ٣٩١)، وَابْنُ حِبَّانَ (ح ٥٠٩٢)، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ (ح ٢٠٣٧).

قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِيهِ حَثٌّ وَتَرْغِيبٌ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَاجْتِنَابٌ عَنِ الْإِفْسَادِ فِيهَا؛ لِأَنَّ الْإِصْلَاحَ سَبَبٌ لِلِاعْتِصَامِ بِحَبْلِ الله، وَعَدَمِ التَّفَرُّقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ ثُلْمَةٌ فِي الدِّينِ؛ فَمَنْ تَعَاطَى إِصْلَاحَهَا وَرَفَعَ فَسَادَهَا نَالَ دَرَجَةً فَوْقَ مَا يَنَالُهُ الصَّائِمُ الْقَائِمُ الْمُشْتَغِلُ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِهِ.

فَعَلَى هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ عَلَى الْإِطْلَاقِ [أَيْ: الفَضْل مِنْهَا وَالنَّفْل]، وَالحَالِقَةُ عَلَى مَا=

الَّتِي حَفَرَهَا لَهُ أَعْدَاؤُهُ"!

تَكَالُبٌ عَلَى حُطَامِ الدُّنْيَا، وَإِخْلَادٌ إِلَى التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ، وَتَنَافُسٌ عَلَى الجَاهِ وَالسُّلْطَانِ، وَتَهَافُتٌ عَلَى الشَّهَوَاتِ وَالمَلَذَّاتِ؛ وَسَفْكٌ لِلدِّمَاءِ، وَهَتْكٌ لِلْأَعْرَاضِ، وَهَضْمٌ لِلْحُقُوقِ، وَغَدْرٌ بِالعُهُودِ، وَخَرَابٌ لِلذِّمَمِ، وَتَعَدٍّ عَلَى الحُدُودِ، وَعُمُومٌ لِلْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ وَالرَّذَائِلِ ..

***

فَسَادٌ فِي الأَخْلَاقِ، وَانْحِطَاطٌ فِي الفَضِيلَةِ، وَانْحِدَارٌ وَتَدَهْوُرٌ فِي القِيَمِ

=يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَمْرُ الدِّينِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ البَيْنِ فَإِنَّهَا الحَالِقَةُ».

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (ح ٢٥٠٨)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ (ح ٢٠٣٦).

وَقَوْلُهُ "وَسُوءَ ذَاتِ البَيْنِ"؛ قَالَ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّمَا يَعْنِي العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ».

وَقَالَ المُنَاوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ البَيْنِ؛ أَيْ: التَّسَبُّبُ فِي المُخَاصَمَةِ وَالمُشَاجَرَةِ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ قَبِيلَتَيْنِ بِحَيْثُ يَحْصُلُ بَيْنَهُمْ فُرْقَةٌ وَفَسَادٌ».

وَعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ: الحَالِقَةُ، حَالِقَةُ الدِّينِ لَا حَالِقَةُ الشَّعَرِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

رَوَاهُ أَحْمَدُ (١/ ١٦٥ - ١٦٧)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ (ح ٢٠٣٨).

وَالمَبَادِئِ وَالمُثُلِ، وَانْحِرَافٌ فِي العَقَائِدِ، وَتَقْلِيدٌ أَعْمَىٰ مَمْجُوجٌ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي العَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ وَالأَزْيَاءِ... (١)، وَصَارَ وَثَنُ المَالِ يُعْبَدُ عَلَىٰ قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَيُضَحَّىٰ بِأُلُوفِ النَّاسِ عَلَىٰ أَنْصَابِ الوَطَنِيَّةِ، وَيُزَجُّ بِالمَلَايِينِ فِي أَتُونِ مَعَارِكِ لِلْأَمْجَادِ الشَّخْصِيَّةِ وَالأَهْوَاءِ؛ لَا نَاقَةَ لِلْإِسْلَامِ فِيهَا وَلَا جَمَل!

***

اتِّبَاعٌ لِلْهَوَىٰ، وَخُرُوجٌ عَنْ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ ... فَوْضَى فِكْرِيَّةٌ، وَتَخَبُّطٌ وَتِيهٌ، وَصُورَةٌ مُشَوَّشَةٌ، وَرُؤْيَةٌ مُضْطَرِبَةٌ، وَعُقَمٌ فِكْرِيٌّ وَنَفْسِيٌّ، وَجَدْبٌ أَخْلَاقِيٌّ، وَفَقْرٌ فِي الأَدَاةِ، وَرَفْضٌ عَابِثٌ لِلْوَاقِعِ المَرِيرِ؛ دُونَ تَجْمِيعٍ لِلطَّاقَاتِ وَتَوَحُّدِ الفِكْرِ، وَدُونَ تَوْحِيدٍ لِمَصْدَرِ التَّلَقِّي، حَتَّىٰ تَسْتَنِيرَ البَصِيرَةُ وَتَتَّضِحَ الصُّورَةُ، وَتَبْدُو مَعَالِمُ الطَّرِيقِ لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ، دُونَ لَبْسٍ فِي التَّفْكِيرِ ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ (الأنفال/ ٤٢).

وَلَكِنَّهُ الإِصْرَارُ عَلَىٰ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ المَسْدُودِ!! ... .

---

(١) قَالَ رَسُولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ الله! اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ». الحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَدْ سَبَقَ كَثِيرًا.

رِدَّةٌ وَمَا لَـهَا مِنْ رَدَّةٌ، رِدَّةٌ وَلَا أَبَا بَكْرٍ لَـهَا!

***

آهٍ .. لَوْ أَحْيَيْنَا الرَّابِطَةَ الإِيمَانِيَّةَ وَالأُخُوَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ، وَالْتَقَتِ الأُمَّةُ بِجَمِيعِ طَوَائِفِهَا وَفِئَاتِهَا عَلَىٰ نُصْرَةِ دِينِ الله!

آهٍ .. لَوْ تَآلَفَتِ القُلُوبُ المُتَنَافِرَةُ، وَتَوَحَّدَتِ الصُّفُوفُ المُبَعْثَرَةُ، وَتَجَمَّعَتِ الأَشْتَـاتُ المُتَنَاثِرَةُ!

لِـمِثْلِ هَذَا يَـذُوبُ مِنْ كَمَـدٍ إِنْ كَانَ فِي القَلْبِ إِسْـلَامٌ وَإِيمَانُ

آهٍ .. لَوْ كَانَتْ هُنَاكَ عُقُولٌ لَا تَسْأَمُ التَّفْكِيرَ، وَسَوَاعِدُ لَا تَشْـكُو التَّعَبَ، وَعَزَائِمُ لَا تَعْرِفُ المُسْتَحِيلَ، وَلَا تَشْـكُو المَلَلَ، وَتَبْذُلُ بِلَا كَلَلٍ!

آهٍ .. لَوْ كَانَ هُنَاكَ مَنْ يَبْذُلُ طَوَاعِيَةً فِي سَبِيلِ نُصْرَةِ هَذَا الدِّينِ، وَيَطِيبُ نَفْسًا بِبَذْلِ المَالِ فِي سَبِيلِ إِعْلَاءِ الحَقِّ .. يَسْتَمْرِئُ المُرَّ، وَيَسْتَعْذِبُ العَذَابَ، وَيَرْضَى بِالتَّقَشُّفِ وَالشَّظَفِ وَالحِرْمَانِ، وَيُضَحِّي بِـكُلِّ مُرْتَخَصٍ وَغَالٍ ، يُرَحِّبُ بِالمَوْتِ فِي سَبِيلِ مَا يُؤْمِنُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالحَقِّ! . . .

آهٍ .. لَوْ كَانَ فِينَا مِثْلُ **الفَارُوقِ عُمَرَ** يَقُولُ:«**لَوْ أَنَّ سَحْلَةً بِالعِرَاقِ عَثَرَتْ؛ لَـخَشِيتُ أَنْ يَسْأَلَنِيَ اللهُ عَنْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ: لِمَ لَمْ تُعَبِّدْ لَـهَا الطَّرِيقَ يَا عُمَـرُ؟**".

آهٍ .. لَوْ كَانَ فِينَا مِثْلُ المُعْتَصِمِ وَأَمْثَالُ قُطُزٍ وَصَلَاحِ الدِّينِ يُجِيبُ المَظْلُومَ

وَيُغِيثُ المَلْهُوفَ، وَيُجَيِّشُ الجُيُوشَ لِنَجْدَةِ العِرْضِ المُسْلِمِ الَّذِي اسْتُبِيحَتْ مَحَارِمُهُ فِي أَرْجَاءِ الأَرْضِ ...

مَنْ لِلدَّمِ المُسْلِمِ المُرَاقِ فِي بِلَادِ العَالَمِ بِلَا ثَمَنٍ؟ .. بُطُونٌ تُبْقَرُ، وَرُؤُوسٌ تُقْطَعُ، وَأَعْرَاضٌ تُنْتَهَكُ، وَمُقَدَّسَاتٌ يُسْتَهَانُ بِهَا، وَأَيْتَامٌ وَأَرَامِلُ وَثَكَالَى تَصْرُخُ .. فَمَنْ لَـهَا؟ ..

صَرَخَاتُ "وَإِسْـلَامَاهُ" تُدَوِّي .. فَمَنْ يُجِيبُ؟ ..

"المُهَاجِرُونَ" اليَوْمَ فِي الأَرْضِ كُثُرٌ .. فَآهٍ؛ لَوْ وَجَدُوا "الأَنْصَـارَ"!!

***

آه .. لَوْ زَوِينَا النِّفَاقَ وَقَرَّبْنَا الإِخْلَاصَ[1]، وَأَسْكَتْنَا الجَهْلَ، وَتَكَلَّمَ مِنَّا أَهْـلُ العِلْمِ، وَعَرَفْنَا لَـهُمْ مَكَانَتَهُمْ، وَأَوْقَفْنَا سَيْلَ التَّبَدُّدِ وَالتَّمَزُّقِ وَالتَّشَرْذُمِ، وَبَحَثْنَا عَنْ هُوِيَّتِنَا الضَّائِعَةِ وَسَطَ رُكَامِ الزَّيْفِ وَالضَّلَالِ وَالبُهْتَانِ، وَأَوْهَامِ الِابْتِذَالِ وَالتَّدَنِّي .. فِي خُطْوَةٍ مُنْضَبِطَةٍ، وَتَشْخِيصٍ صَادِقٍ، وَمُعَالَـجَةٍ صَحِيحَةٍ لِـهَذَا الوَاقِعِ المَرِيـرِ!

***

(١) فَمَا أَوْصَلَنَا إِلَى هَذِهِ الحَالَةِ المُتَرَدِّيَةِ إِلَّا ضَيَاعُ الإِخْلَاصِ!

آهٍ .. لَوْ تَمَسَّكْنَا بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّـةِ[١] مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَـهُمْ بِإِحْسَانٍ -مِمَّنْ أَقَامَ اللهُ بِهِمُ الدِّينَ وَرَفَعَ بِهِمْ لُوَاءَهُ، وَاشْتَغَلْنَا بِعُلُومِهِمْ وَأَبْرَزْنَا تُرَاثَهُمْ[٢].

آهٍ .. لَوْ تَخَلَّصْنَا مِنَ الأَهْوَاءِ وَتَصَدَّيْنَا لِأَصْحَابِهَا، وَالْتَزَمْنَا بِمَنْهَجِ الحَقِّ! غَيْرَ هَيَّابِينَ فِي الصَّدْعِ بِهِ وَالدِّفَاعِ عَنْهُ؛ دُونَ شِعَارَاتٍ رَنَّانَةٍ وَهُتَافَاتٍ طَنَّانَةٍ!

آهٍ .. لَوْ انْتَشَلْنَا أَنْفُسَنَا مِنْ أَوْحَالِ الجَهْلِ وَالضَّلَالِ، وَاسْتَشْعَرْنَا حَجْمَ المَهَامِ الجِسَامِ الَّتِي تَقَـعُ عَلَى كَوَاهِلِنَا تُجَاهَ هَذَا الدِّينِ العَظِيمِ فِي مُوَاجَهَةِ كُلِّ قُوَى الشَّرِّ وَالبَغْيِ وَالضَّلَالِ مُجْتَمِعَةً؛ الَّتِي تَكِيدُ لِـهَذَا الدِّينِ وَأَهْلِهِ كَيْدًا مُنَظَّمًا مَدْرُوسًا مُخَطَّطًا مُوَجَّهًا لِتَدْمِيرِ الأُمَّـةِ الإِسْلَامِيَّة.

وَلَكِنْ، آهٍ .. لَوِ اسْتَشْعَرْنَا الثِّقَةَ بِاللهِ وَبِنَصْرِهِ، وَأَهَّلْنَا النَّفْسَ لأَنْ يَتَحَقَّقَ فِيهَا وَبِهَا مَوْعُـودُ اللهِ بِالنَّصْرِ وَالتَّمْكِينِ! ...

---

(١) رَاجِعْ: "الاِعْتِصَام" لِلشَّاطِبِيِّ (٢/ ٢٥٢).

(٢) فَيَالَيْتَنَا نَهْتَمُّ بِعُلُومِ الدِّينِ كَمَا نَهْتَمُّ بِعُمْرَانِ الدُّنْيَا! وَمَا انْحَرَفَ مَنِ انْحَرَفَ عَنْ جَادَّةِ الصِّرَاطِ إِلَّا بِإِغْفَالِهِ ذَلِكَ، وَرُبَّمَا تَجِدُ مَنْ يَصِلُ إِلَى أَعْلَى المَرَاتِبِ العِلْمِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَلَا يَكَادُ يُحْسِنُ الوُضُوءَ وَلَا الصَّلَاةَ!

(فَإِنَّ نَصْرَ اللهِ آتٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَكِنْ .. أَيْنَ أَهْلُهُ؟!!).

***

وَأَنْتُمْ يَا أَصْحَابَ الفِكْرِ المَسْمُومِ، وَحَمَلَةَ الأَقْلَامِ المَسْنُونَةِ ضِدَّ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ!

يَا أَصْحَابَ الفِكْرِ العَفِنِ المَجْلُوبِ مِنْ مَزَابِلِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ؛ الَّذِي لَمْ يُفْرِزْ يَوْمًا إِلَّا القِيحَ وَالصَّدِيدَ!

أَنْتُمْ يَا مَنْ تُتْقِنُونَ صِنَاعَةَ الهُتَافِ وَالتَّصْفِيقِ، وَتَبْرِيرَ الظُّلْمِ وَتَمْجِيدَ الظَّالِمِينَ! اعْلَمُوا أَنَّ الكَلِمَةَ أَمَانَةٌ، وَأَنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ عَنْهَا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، فَأَعِدُّوا لِلسُّؤَالِ جَوَابًا عَمَّا قَلِيلٌ، وَ ُ الْمَوْعِدُ!

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (ق/ ١٨).

***

وَأَنْتُمْ يَا طَوَاغِيتَ الأَرْضِ!

اعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَلَا أَمْوَالُكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا وَأَنَّكُمْ وَقُودُ النَّارِ؛ إِلَّا أَنْ تَتُوبُوا وَتَرْجِعُوا عَنْ غِيِّكُمْ وَضَلَالِكُمْ .. وَتَذَكَّرُوا مَصِيرَ أَسْلَافِكُمْ مِنَ الطُّغَاةِ وَالظَّلَمَةِ عَلَى مَرِّ العُصُورِ .. وَعَمَّا قَلِيلٍ؛ تَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيِ

اللهِ فَيَسْأَلُكُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاكُمْ، فَـ«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[١]، فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟[٢].

***

فَيَا أَيُّهَا الطُّغَاةُ! ..

مَنْ يَنْجُوا غَدًا مِنْ عِقَابِ المَظَالِمِ، «يَوْمَ يُقْتَصُّ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ» .. عِنْدَمَا يُقَالُ يَوْمَ القِيَامَةِ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (الصَّافَّات/ ٢٤)؟

وَمَهْمَا أُوتِيتُمْ مِنْ قُوَّةِ بَأْسٍ وَشِدَّةٍ وَجَبَرُوتٍ وَتَمْكِينٍ فِي النَّيْلِ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ؛ فَتَذَكَّرُوا قُدْرَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَمَهْمَا أُوتِيتُمْ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى تَشْوِيهِ صُورَةِ أَهْلِ الحَقِّ؛ فَإِنَّ الحَقَّ أَبْلَجُ!

.. الحَقَّ أَبْلَجُ!

***

(١) جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ: رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٨٩٣، وَمَوَاضِع)، وَمُسْلِمٌ (ح ١٨٢٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (ح ١٥٠٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (ح ٢٩٢٨).

(٢) دَخَلَ ابْنُ السَّمَّاكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ [وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ صُبَيْحٍ، الزَّاهِدُ العَابِدُ] يَوْمًا عَلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ لَكَ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ مَوْقِفًا؛ فَانْظُرْ أَيْنَ مُنْصَرَفُكَ: إِلَى الجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ؟» فَبَكَى الرَّشِيدُ حَتَّى كَادَ يَمُوتُ.

إِنَّنَا نَسْأَلُ -وَحُقَّ لَنَا أَنْ نَسْأَلَ:

مَا سَبَبُ الدَّمَارِ الَّذِي حَاقَ بِكِيَانِ الأُمَّةِ وَزَلْزَلَ مَجْدَهَا التَّلِيدَ؟ وَمَنْ وَرَاءَهُ؟

هَذَا الخِزْيُ وَهَذَا العَارُ الَّذِي تَتَمَرَّغُ فِي أَوْحَالِهِ الأُمَّةُ .. مَا سَبَبُهُ؟ وَمَنْ وَرَاءَهُ؟

هَذِهِ الرَّذَائِلُ وَالبَلَايَا الَّتِي انْتَشَرَتْ فَمَا تَرَكَتْ شَيْخًا وَلَا شَابًّا .. مَا سَبَبُهَا؟ وَمَنْ وَرَاءَهَا؟

كُلُّ هَذَا الضَّيَاعِ وَالفَسَادِ وَالِانْحِرَافِ .. مَا سَبَبُهُ؟ وَمَنْ وَرَاءَهُ؟

هَلْ هُمْ أَهْلُ الإِيمَانِ الَّذِينَ امْتَلَأَتْ بِهِمُ السُّجُونُ وَأُلْصِقَتْ بِهِمُ التُّهَمُ؟ .. أَمْ هُمْ أَهْلُ الفِسْقِ وَالفُجُورِ الَّذِينَ يَرْتَعُونَ وَيَلْعَبُونَ وَيَسْرَحُونَ وَيَمْرَحُونَ دُونَ حَسِيبٍ أَوْ قَرِيبٍ؟!![1].

***

أَمَّا أَنْتُمْ **-يَا أَهْلَ الإِيمَانِ!** ...

إِلَى مَتَى الخُلْفُ بَيْنَكُمْ وَشَمَاتَةُ الأَعْدَاءِ؟

إِلَى مَتَى هَذَا التَّفَرُّقُ وَالتَّمَزُّقُ وَالتَّشَرْذُمُ؟

---

(١) "الصَّحْوَة الإِسْلَامِيَّة" لِلشَّيْخِ/ القَرَضَاوِيّ (ص ١٢).

إِلَىٰ مَتَىٰ نِسْيَانُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ (الأنبياء/ ٩٢)؟

إِلَىٰ مَتَىٰ هَذَا التَّنَاحُرُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَالتَّكَالُبُ عَلَىٰ الأَعْدَاءِ؟!

***

فَانْبُذُوا الأَهْوَاءَ وَالفُرْقَةَ، وَوَحِّدوا صُفُوفَهُمْ، وَتَنَبَّهُوا لِمَا يُرَادُ بِهِمْ وَيُحَاكُ لَهُمْ، وَامْضُوا عَلَىٰ هَدْيِ نَبِيِّهِمْ .. فَإِمَّا النَّصْرُ وَإِمَّا الشَّهَادَةُ!

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ (الأنفال/ ٥٣).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرَّعْد/ ١١).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ (الرَّعْد/ ١٧).

كُونُوا جميعًا يَا بَنِيَّ إِذَا اعْتَرَى ... خَطْبٌ وَلَا تَتَفَرَّقُوا آحَادَا

تَأْبَى الرِّمَاحُ إِذَا اجْتَمَعْنَ تَكَسُّرًا ... وَإِذَا افْتَرَقْنَ تَكَسَّرَتْ أَفْرَادَا

***